الفصل الأول
تاريخ تربية المعوقين بصرياً

مقدمة

تطور تعليم ضعاف البصر

تطور القياس وأدواته.

تطور حركة دمج المعوقين بصرياً.

تطور الاتجاهات الاجتماعية نحو المعوقين بصرياً.

تطور برامج إعداد معلمي المعوقين بصرياً

تطور برامج التدخل المبكر للمعوقين بصرياً

مراجع الفصل

مقدمة

إن المكفوفين وضعاف البصر، فيما نعلم، قد وجدوا في المجتمعات البشرية منذ أقدم العصور. ومن الأشخاص المكفوفين المشهورين الذين يذكرهم فيرن روبرتس (Roberts1986) نيكولاس سوندرسون وكان أستاذا للرياضيات في جامعة كامبردج في بريطانيا وفرانسيس هوبر عالم الطبيعة السويسري، وماريا فون براديس عازفة البيانو الشهيرة. وقد ورد ذكر المكفوفين كما هو معروف في الكتب السماوية.

فقد جاء في القرآن الكريم أن الرسول ﷺ كان يخاطب بعض عظماء قريش فأقبل عليه ابن أُم مكتوم وهو شخص مكفوف، فأعرض عنه الرسول الكريم، فأنزل الله –سبحانه وتعالى– قوله (عبس وتولى، أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى). وقد تميز بعض المكفوفين العرب في مجالات مختلفة ونذكر منهم هنا بشار بن برد، وأبا العلاء المعري، وطه حسين. ومع أن جهوداً فردية كانت تبذل لتعليم المكفوفين في الماضي، إلا أن البرامج المنظمة لم تظهر قبل منتصف القرن الثامن عشر.

إن الاتجاهات الحديثة نحو المكفوفين والبرامج التربوية الخاصة لهم تعود لحوالي مائتي عام عندما أنشئت أول مدرسة خاصة للمكفوفين في فرنسا علم 1785على يدي فالنتين هوي (Valentin Hiay). وفي القرن التاسع عشر، ظهرت مدارس عديدة في عدد من الدول. ففي عام1804 أنشئت مدرسة للمكفوفين في فينا، وفي برلين عام1806، وفي ميلان عام 1807، وفي أمريكا عام 1829، وفي كندا عام 1861، وفي الصين عام 1875، وفي اليابان عام 1878، وفي الهند عام 1887 (1982Scott)وبعد ذلك ظهرت مدارس للمكفوفين في معظم دول العالم وكانت هذه المدارس داخلية بمعنى أن المكفوفين يقيمون فيها على مدار السنة الدراسية ولا يعودون إلى بيوتهم إلا في العطل الرسمية.

وكان لويس بريل (Louis Braille) أثر بالغ في تطوير البرامج التربوية للأفراد المعوقين بصرياً. وكما أشار لوينفلد (Lowenfeld 1975) في كتابه (الوضع المتغير للمكفوفين) فإن تعليم المكفوفين ما كان ليحرز تقدماً يذكر لولا نظام النقاط البارزة الذي طوره بريل، حيث شكل هذا النظام بديلاً فعالاً للتواصل من خلال القراءة والكتابة. وكان بريل قد ولد في عام 1809 في باريس وفقد بصره وهو في الثالثة من عمره. وبعد العمل كعازف بيانو في إحدى الكنائس

عمل كمعلم للمكفوفين في المؤسسة الملكية للشباب المكفوفين في باريس. وسرعان ما نشر نظام النقاط البارزة بدلاً من الحروف البارزة التي كان فالنتين خوي قد اقترحها من قبل. وكان نظام النقاط لبريل مستنداً إلى أعمال أحد اجنود واسمه شارلز بابير الذي صمم شيفرة يمكن قراءتها بالظلام من خلال حاسة اللمس.

وفي البداية كانت مدارس المكفوفين في معظم الدول تنشأ من قبل الجمعيات الخيرية. وما تزال هذه الجمعيات إلى الوقت الحاضر تدير بعض أفضل هذه المدارس وأكثرها شهرة. ولكن الحكومات في دول عديدة أصبحت تعي الحاجة إلى هذه المدارس فأخذت تتحمل مسؤوليات التمويل وافتتاح مدارس جديدة. ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا كان هنالك أكثر من خمسين مدرسة داخلية للمكفوفين بحلول عام 1875، وكانت حكومات الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية تمويل هذه المدارس وإدارتها. وفي بريطانيا، تعاونت الجمعيات الخيرية مع الإدارات المدرسية المحلية في تعليم الطلاب المكفوفين في المدارس الداخلية. وكانت الغاية من ذلك تقديم برامج تعليمية ذات نوعية جيدة على أيدي معلمين متميزين لديهم تدريب خاص في تربية المكفوفين. وبناء على ذلك، فقد كانت مدارس المكفوفين في بريطانيا منذ البدايات الأولى تركز على تعليم الطلاب المكفوفين الموضوعات الأكاديمية وبالإضافة إليها التدريب المهني والبرامج الرياضية. وكان القبول في هذه المدارس، كما هو الوضع في الدول الأخرى، مقصوراً على الطلاب المكفوفين، وكانت طريقة بريل هي الطريقة الوحيدة في تعليمهم. أما الطلاب ضعاف البصر فلم تتح لهم الفرص للالتحاق بتلك المدارس. وكذلك كان الأمر بالنسبة للطلاب الذين كانوا يعانون من الإعاقة البصرية وإعاقات أخرى، حيث لم تكن المدارس تقبلهم إلا في بعض الحالات الاستثنائية.

تطور تعليم ضعاف البصر

لم يحظ ضعاف البصر بأي اهتمام يذكر من حيث البرامج التربوية الخاصة قبل بداية القرن العشرين. فبعض ضعاف البصر كانوا يلتحقون بمدارس المكفوفين، حيث يتم تعليمهم هناك بطريقة بريل، إذ كان يتم إرغامهم على تغطية عيونهم لكي لا يقرأوا بالاعتماد عليها بسبب الاعتقاد بأن ذلك سيعمل على إتلاف القدرات البصرية المحدودة المتبقية لديهم. وقد استمرت هذه الممارسة إلى عقد الستينيات في بعض الدول المتقدمة، ولكنها ما تزال قائمة إلى هذا اليوم في معظم الدول النامية على الرغم من أنها ليست ممارسة صحيحة.

وقد أدرك جيمس كر (James Kerr)وهو طبيب بريطاني هذه الحقيقة منذ بداية القرن، فناشد بمراعاة الحاجات لضعاف البصر. وتم تحقيق ذلك بالإيعاز لطبيب العيون بيشوب هيرمان (Bishop Herman) تطوير الخدمات للطلاب الملتحقين بمدارس المكفوفين في لندن. وقد وجد هيرمان أن عدداً كبيراً من الطلاب الملتحقين بتلك المدارس لم يكونوا مكفوفين وإنما ذوي ضعف بصري شديد.

وبناء على ذلك قدم كر وهيرمان تقارير في مؤتمرات وطنية ودولية أكدا فيها أن الأطفال ضعاف البصر بحاجة إلى خدمات وبرامج مختلفة عن تلك التي يحتاج إليها المكفوفون، واقترحا عدم تعليمهم في مدارس المكفوفين. واستناداً إلى ذلك تم افتتاح أول صف خاص لتعليم ضعاف البصر في إحدى المدارس الابتدائية عام 1908. وقد كتب على باب ذلك الصف عبارة تقول "الكتابة والقراءة ممنوعتان في هذا الصف" وذلك بسبب الاعتقاد بأن استخدام البصر المتبقي يضعفه أكثر. وبعد ذلك بدأت الصفوف الخاصة من هذا النوع بالظهور في معظم الدول. وكان يطلق على هذه الصفوف اسم صفوف الحفاظ على البصر (Sight Saving Classes).وبالخبرة عرف المعلمون وغيرهم أن استخدام البصر المتبقي ليس مضراً وبدأت الصفوف الخاصة تسمح للطلاب ضعاف البصر بتوظيف ما تبقى لديهم من بصر وظيفي. وكان من الرواد الأوائل في هذا المجال الأمريكيان ادوارد ألن (Edward Allen)وروبرت أيروين.(Robert Irwin)

ولكن شيئاً لم يحدث فيما يتعلق بكيفية مساعدة الطلاب ضعاف البصر على استخدام ما لديهم من قدرات بصرية وظيفية بشكل فعال إلى أن قامت ناتاني باراجا (Barraga) بدراساتها الشهيرة حول هذا الموضوع في بداية عقد الستينيات. وكانت تلك الدراسات بمثابة نقطة تحول تاريخية في طريق تعليم الأطفال ضعاف البصر.

تطور القياس وأدواته

لم يكن هناك أي مقاييس أو اختبارات خاصة أو مكيفة لتقييم الأفراد المعوقين بصرياً قبل العقد الثاني من القرن الحالي. فالاهتمام كان منصباً في الماضي على تحديد الأطفال الذين لن تنجح البرامج التربوية في مساعدتهم أو على معرفة ميولهم بشكل محدود. وعند تطور الاهتمام بالقياس والتقييم كانت المحاولات في البداية تتركز على تقييم الأداء العقلي لأن المدارس في ذلك الوقت كانت ترغب في معرفة الأطفال المكفوفين الذين قد يكون لديهم تخلف عقلي. ولتلك الغاية، قام روبرت ايروين (Robert Irwin) عام 1914 بتعديل اختبار جودارد-

بينيه للذكاء واستخدام هذه الصورة المعدلة في اختبار القدرات العقلية للأطفال المكفوفين. وبعد ذلك بسنة، قام ثوماس هينز بتطوير اختبار خاص للمكفوفين. ومن خلال هذا الاختبار استنتج هينز أن القدرات العقلية للمكفوفين لا تختلف عن القدرات العقلية للمبصرين، وذلك ما دعمته دراسات كثيرة لاحقاً.

لكن التغيير الجوهري في أساليب تقييم المكفوفين حدث بفعل الإسهامات المتميزة لكل من صاموئيل بيركنز هيز (Hayes)وماري بومان (Bauman) بالنسبة لهيز فقد عمل على لفت الأنظار إلى أهمية القياس والتقييم وقدم اختبار هيز- بينيه للمكفوفين وهو صورة معدلة من اختيار ستانفورد بينيه للذكاء. أما بومان فقد أسهمت بشكل واضح ومؤثر في تقنين عدد من الاختبارات على المكفوفين وفي تطوير آليات تطبيق الاختبارات على هؤلاء الأفراد.

وفي عقدي الخمسينيات والستينيات طرأ المزيد من التقدم فيما يتعلق بمجالات القياس والتقييم المختلفة في ميدان الإعاقة البصرية. فقد تعاظمت الجهود المبذولة لتطوير صور أدائية من الاختبارت التقليدية لتصبح ملائمة للمكفوفين، وظهرت الاختبارات بلغة بريل أو بالحروف المكبرة. ولم تقتصر هذه الإنجازات على مجال تقييم القدرة العقلية ولكنها شملت أيضاً التقييم النفسي في مجالات الميول والشخصية والتحصيل وغير ذلك .(Kolk,1981)وبالرغم من ذلك، فإن الحاجات الخاصة للأشخاص المعوقين بصرياً في عمليات القياس والتقييم ما زالت غير مفهومة بما فيه الكفاية من قبل نسبة كبيرة من الاختصاصيين النفسيين. فقليلون جداً هم اختصاصيو القياس النفسيي أو الإرشاد أو التأهيل الذين يختارون الإعاقة البصرية كمجال تخصص رئيسي لهم.

تطور حركة دمج المعوقين بصرياً

منذ عقد الخمسينيات من القرن العشرين، بادرت دول عديدة إلى إعادة النظر في طبيعة البرامج التربوية للطلاب المعوقين بصرياً. فقد شرعت تلك الدول في توفير بدائل تربوية لمؤسسات ومدارس المكفوفين الخاصة والمعزولة. وكان لتغيير فلسفة تعليم الطلاب المعوقين بصرياً أسباب عديدة. ومن تلك الأسباب البحوث العلمية التي بينت أن الأسرة هي الأكثر أهمية لنمو الأطفال، وتغير الاتجاهات المجتمعية نحو الأشخاص المعوقين ونحو معنى التربية الملائمة لهم، والنضج المهني لتخصص التربية الخاصة، والضغوط التي مارستها جمعيات الأهالي والاختصاصيين.

وكان لكتاب ثوماس كتسفورث "المكفوفون في المدرسة والمجتمع"، الذي صدر لأول مرة في